الشمائل المحمدية

اللقاء الأول

بأي لسان نصِفُه؟ وبأي بنان نمدحه؟ القلب يحبه.. والروح تُجلّه.. والمؤمن يوقّره.. والولي يعزره.. والجذع يحن إليه.. والنفس تشتاق إليه.. أقرب إلينا من أنفسنا.. وأحَبُّ إلينا من أموالنا وأولادنا..

إنه نبي الرحمة.. ورسول الملحمة.. النبي المصطفى، والحبيب المجتبى.. محمد بن عبد الله -ﷺ-: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة 128].

لقد شرّف الله -عزّ وجلّ- نبيه المصطفى -ﷺ- بآيات كثيرة من كتابه الكريم فأظهر بها عُلُوَّ شرف نسبه ومكارم أخلاقه وحسن حاله وعظيم قدره وأمرنا بتعظيمه فقال وهو أصدق القائلين: (فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة الأعراف: 157].

⇦فقوله -عزّ وجلّ- (وَعَزَّرُوهُ) معناه أثنوا عليه ومدحوه وعظمّوه، فاحترامه وتوقيره وإجلاله وتعظيمه -ﷺ- فرض من مهمات الدين وعمل من أعمال المفلحين ونهج الأولياء والصالحين.

الله عظّم قدر جاه محمد *** وأناله فضلاً لديه عظيمًا

في محكم التنْزيل قال لخلقه *** صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وإن من لوازم محبته -ﷺ-اتباع سنّته، وتوقير ملته، والإحاطة بصفاته الخَلْقية والخُلُقية...

قال الشيخ عبد الرزاق البدر -حفظه الله-: والفائدة من معرفة صفاته -ﷺ- الخَلقية معرفة هيئة طلعته -ﷺ- البهية ومحياه الوضاء، التمييز في الرؤيا المنامية بين الرؤيا الصادقة المطابقة لما ثبت عن أصحابه التي لا يتمثل الشيطان بها، وبين الرؤيا المنامية الكاذبة، وأما فائدة معرفة صفاته الخُلقية؛ فالعلم بما أكرمه الله به من أخلاق كريمة أثنى الله عليه بها بقوله: " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" [القلم:4] ، والعمل على التخلق بهذه الأخلاق اقتداء به -ﷺ- ، كما قال الله عز وجل : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" [الأحزاب:21].

⇦ومن حقه على أمته أن تكون الألسنة رطبة بالثناء عليه بكل ما يليق به، مع الحذر من الغلو الذي لا يرضاه الله ولا رسوله -ﷺ-، وبالثناء على سنته، وإيضاح محاسنها، وبيان ضرورة الناس إلى التمسك بها، وأن تكون الألسنة رطبة بالصلاة والسلام عليه -ﷺ-.

📂ما المقصود من الشمائل؟؟

📋وقال الشيخ عبد الرزاق البدر –حفظه الله–: " الشمائل ": المراد بها خصال الإنسان، وأوصافه وخلاله، وأخلاقه، وآدابه ونحو ذلك، يقال: فلان حسن الشمائل، أي حسن الأخلاق، ويقال كريم الشمائل، أي كريم الأخلاق، ولهذا سمي الإمام الترمذي رحمه الله وغيره من أهل العلم أوصاف النبي –ﷺ– وأخلاقه وآدابه وما يتعلق به بـ " الشمائل ".

📂الفوائد العظيمة من دراسة الشمائل النبوية؟؟

📋قال الشيخ عبد الرزاق البدر –حفظه الله–: وفي دراسة شمائله –ﷺ–ومعرفة خصاله وخلاله فوائد عظيمة، منها:

أولاً: إن من واجبات أهل الإيمان: الإيمان به –ﷺ–، ولا يكون ذلك إلا بمعرفته؛ فكلما زادت المعرفة به –ﷺ–ازداد الإيمان به، وازداد الاتباع له؛ إذ أن من موجبات الإيمان به معرفة ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة؛ فإن من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه وصدق ما جاء به من الكتاب والسنة والدين الحق ؛ إذ إن أوصافه الحميدة ، وشمائله الجميلة ، وأقواله الصادقة النافعة ، وأفعاله الرشيدة أكبر داع للإيمان به ؛ ولهذا حث الله سبحانه وتعالى على تدبر أحوال الرسول –ﷺ– وأصافه الداعية للإيمان به فقال : " قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " [سبأ:46] .

ثانياً : إن محبته –ﷺ– فريضة افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده ؛ بل إنه يجب أن تقدم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين ؛ بل على النفس ، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، ولا ريب أن معرفته –ﷺ– ومعرفة شمائله وخصاله تزيد القلب حباً له وتعظيماً وإجلالاً ، ومعرفة لقدره العظيم ومكانته العلية ؛ 📋قال ابن القيم: فإن " العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له ، وتزايد شوقه إليه " جلاء الأفهام لابن القيم ص 525 "؛ وعليه فكم للعناية بمناقبه العظيمة وشمائله الكريمة وصفاته الحميدة وأخلاقه وآدابه وهديه وسنته وسيرته من الأثر البالغ في ازدياد محبته في القلوب وقوتها .

ثالثاً : إن الله سبحانه وتعالى جعله قدوة للعباد وأسوة للناس ، وأمر باتباعه والسير على منهاجه ، بل هو الإمام الأعظم ، والقدوة الأكمل ، قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " [الأحزاب:21]، وقال تعالى : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " [الحشر:7] وقال تعالى : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " [آل عمران:31]، ومتابعته –ﷺ– والائتساء به فرع عن معرفته ومعرفة خصاله وخلاله وشمائله .

رابعاً : إن الله قد جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ففي " البخاري " من حديث أبي هريرة أن النبي –ﷺ– قال : "ما مِن مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى به في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ " ... فهو أولى بهم من أنفسهم ؛ لأنه –ﷺ– بذل لهم من النصح والشفقه والرأفة ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم ، فكان بذلك أعظم الخلق منة عليهم من كل أحد ؛ إذ لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير ، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر إلا على يديه وبسببه ؛ فلذا وجب عليهم أن يعرفوا له مكانته العظيمة ومنزلته العلية ، وأن يعرفوا من شمائله وخلاله ما يزيدهم حبا له ، واتباعا لنهجه ، ووفاء بحقه .

خامساً: إن الله سبحانه وتعالى أقسم في القرآن الكريم على كمال خلق النبي –ﷺ– وعظمه، فقال تعالى " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) " [القلم:1-4]، وهذا شرف عظيم لعبد الله مصطفاه –ﷺ–حيث نعته جل وعلا بذلك، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه –ﷺ– قالت: " كان خُلُقُه القرآنَ " أخرجه مسلم وأحمد، فهذه كانت أخلاق رسول الله –ﷺ– المقتبسة من مشكاة القرآن؛ فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا له وتبييناً، وعلومه علوم القرآن ، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن ، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ، ورغبته فيما رغّب فيه ، وزهده فيما زهّد فيه ، وكراهته لما كرهه ، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في إقامته ؛ فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول –ﷺ– وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها : " كان خُلُقُه القرآنَ " وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى " التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص531" . وهكذا الشأن في كل من وفق لدراسة الشمائل والعناية بها يحصل له هذا الاكتفاء والاشتفاء.

سادساً: إن الله سبحانه وتعالى أمر العباد بالصلاة والسلام عليه اقتداء به وبملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليهم فقال: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [الأحزاب:56]. وكلما ازداد المرء بصيرة بشمائله وقوة في معرفته ازدادت صلاته عليه وحسنت؛ قال ابن القيم:" ولهذا كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له على خلاف صلاة العوام عليه، الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم، وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به، فصلاتهم عليه نوع آخر؛ فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله تعالى " جلاء الأفهام لابن القيم ص 531 ".

سابعاً: إن شمائله وسيرته العطرة –ﷺ– تعد منهج حياة لكل مسلم يرجو لنفسه الخير والرفعة والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة، يربي عليها الأبناء وينشأ عليها الأجيال، وإذا حاد النشء عنها حصل لهم الضياع كما هو حال كثير من الشباب والشابات عندما يموا في قراءاتهم للسير والأخبار نحو سير التافهين والتافهات، وأخبار الضائعين والضائعات من الهمل كيف ترتب على ذلك الانحراف في العقائد

والعبادات، والانحلال في الآداب والأخلاق والاختلال في القيم والموازين! فما أحوج هؤلاء إلى العودة الصادقة إلى هذه السيرة العطرة والشمائل المباركة؛ ليقفوا على هذا المعين المبارك والمنهل العذب الذي من وقف عليه واهتدى بهداه تحقق له تمام الصلاح والفلاح والسعادة بإذن الله، قال ابن القيم:" فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفية الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة " زاد المعاد لابن القيم 1/ 36 ".

ثامناً : إن معرفته -ﷺ- من أعظم الأمور التي تزيد الإيمان ؛ بل إنها من أعظم الأمور التي توجب الإيمان في حق من لم يؤمن ، وزيادة الإيمان في حق من آمن ، كما قال سبحانه وتعالى " أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ " [المؤمنون:69] ، أي أن معرفته -ﷺ- موجبة وسبب عظيم لحصول الإيمان في حق من لم يؤمن ، ومن الناس في زمانه -ﷺ- من ظل ردحا من الزمان ليس على وجه الأرض أبغض إليه منه -ﷺ- بسبب الدعايات الكاذبة والإشاعات الآثمة ، فما أن رأى محياه -ﷺ- ووقف على سيرته عن كثب ، ورأى أدبه ومعاملته إلا وقد تحول من ساعته وليس على وجه الأرض أحد أحب إليه منه .

"إنَّ ثُمامةَ بنَ أَثَّالٍ الحنفيَّ، انطلقَ إلى نَخلٍ قريبٍ منَ المسجدِ فاغتسَلَ، ثمَّ دخلَ المسجدَ فقالَ: أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ محمَّدًا عَبدُهُ ورسولُهُ. يا مُحمَّدُ، واللَّهِ ما كانَ علَى الأرضِ وَجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهِكَ، فقد أصبحَ وجهُكَ أحبَّ الوجوهِ كُلِّها إليَّ" صحيح البخاري

ومن يطالع السيرة النبوية يجد في قصص كثير ممن أسلم أن سبب إسلامهم هو الوقوف على شمائله وأخلاقه وآدابه -ﷺ- وهذا معنى قول الله سبحانه وتعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" [آل عمران:159] إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والثمار الجليلة التي يجنيها من يكرمه الله سبحانه وتعالى ويوفقه لدراسة شمائل النبي -ﷺ-.

✉وعليه فمن أراد أكمل الآداب وأطيب الأخلاق فلن يجدها إلا في خلقه وهديه وأدبه -ﷺ-، وهذا مما يتطلب مزيد عناية بدراسة شمائله وأخلاقه وآدابه صلوات الله وسلامه عليه. وفي هذا الموضع أنقل نصين عظيمين:

❍أحدهما لسفيان بن عيينة فيما رواه عنه الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " 9/1. بإسناده إليه أنه كان يقول: " إن رسول الله -ﷺ- هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء؛ على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل ".

❍الثاني للإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " زاد المعاد 1/ 69- 70 " حيث قال وهو يبين مكانة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه: " فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن

الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال؛ فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت ؛ فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك ، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة ، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال بل أعظم ، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي، وما لجرح بميت إيلام " .

✉وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي -ﷺ- فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه -ﷺ-؛ والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم ".

✉والحاصل إن من نعم الله تعالى على عبده العظيمة أن ييسر له الارتباط والصلة بشمائل المصطفى -ﷺ-وخصاله الكريمة، فهذا باب عظيم من أبواب الخير، وكرامة ومنة من الله تعالى على من شاء من عباده.

✉وسوف نتعرف على الشمائل النبوية من خلال كتاب الشمائل النبوية والخصائل المحمدية للإمام الحافظ ابا عيسى محمد بن عيسى الترمذي، وهو من أقدم ما ألف فيها.

📄وقال الشيخ عبد الرزاق البدر: فإن كتاب " الشمائل " للإمام الترمذي رحمه الله كتاب عظيم ومؤلف مبارك في باب من أشرف أبواب العلم وأجلها، ألا وهو: شمائل نبينا الكريم -ﷺ-، وخصاله المنيفة، وصفاته الشريفة، وأخلاقه الرفيعة، وآدابه الكريمة، ومعاملاته الطيبة الحسنة، صلوات الله وسلامه عليه.

✉فهو كتاب يحوي شمائل أفضل عباد الله وأحبهم إلى الله جل وعلا، خليل الله ومصطفاه ومجتباه، أكمل عباد الله عبادة وأزكاهم خلقاً، وأطيبهم نفساً ، وأحسنهم معاملة ، وأعظمهم معرفة بالله -عز وجل- وتحقيقا لعبوديته ؛ اصطفاه الله -عز وجل- ليكون سفيرا بينه وبين عباده ، وواسطة بينه وبين الناس في الدلالة على الخير والدعوة إلى الهدى ، واختاره سبحانه وتعالى على علم من أفضل وأعرق البشرية نسباً ، وخصه بأكمل صفات البشر من حيث الخَلق والخُلق ، وخصه بأجمل الصفات في هيئته البهية، وطلعته الجميلة ، ومحياه المشرق ، وصفاته العالية الرفيعة صلوات الله وسلامه عليه ، وخصه بأكمل الخلال وأجمل الأخلاق وأطيب الآداب ، وجعله -ﷺ-أسوة للعالمين وقدوة لعباد الله أجمعين ، قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" [الأحزاب:21] ؛ وهذه الآية كما قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره " تفسير القرآن العظيم 6/ 391 " : أصل كبير في التأسي برسول الله -ﷺ-في أقواله وأفعاله وأحواله.

✉ومن المعلوم أن التأسي به -ﷺ- والاقتداء فرع عن العلم بشمائله وخصاله وخلاله؛ إذ لا يتأتى اقتداء به، ولا اتباع لنهجه، ولا لزوم لهديه إلا بمعرفة سيرته وشمائله وخصاله وخلاله العظيمة -ﷺ-،

ولهذا كان متأكدا على كل مسلم أن يعنى بدراسة سيرة هذا الرسول الكريم -ﷺ-وشمائله عناية مقدمة على العناية بغيره من البشر؛ لأنه -ﷺ- أزكى البشرية، وخير العباد، وقدوة العاملين، وسيد ولد آدم أجمعين.

✉وقد رتب الإمام الترمذي رحمه الله كتابه " الشمائل " ترتيبا دقيقا وقسمه تقسيما بديعا فجعله في ستة وخمسين بابا، وجمع فيه خمسة عشر وأربعمائة حديث عن رسول الله -ﷺ-. فبدأ بذكر صفات النبي -ﷺ-الخَلقية من حيث طوله، ولون بشرته، وذكر شعره، وصفة وجهه، وغير ذلك من صفاته الخَلقية -ﷺ-. ثم أتبع ذلك رحمه الله إلى الكلام عن شمائله وأخلاقه، وآدابه ومعاملاته -ﷺ-. ثم ذكر عباداته وختم كتابه : برؤيته -ﷺ-في المنام ، فذكر في ضمن ما ذكر من الآثار ضوابط هذه الرؤية ، ومدى صدقها إن كانت وقعت للعبد ، ومن ضوابط هذه الرؤيا كما سيأتي في خاتمة الكتاب إن شاء الله ؛ العلم بصفاته -ﷺ-، ولهذا لما قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : إني رأيت النبي -ﷺ- قال : " صف لي من رأيت " ؛ فلما وصف الرجل من رأى في المنام ، قال له ابن عباس رضي الله عنهما : " لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا " فكان من جميل صنيع المصنف رحمه الله : أن بدأ الكتاب بذكر صفات النبي -ﷺ-الخَلقية ثم ختمه بالرؤية ، وقد قال -ﷺ-: من رآني في المنام فقد رآني ؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي " أخرجه البخاري 110 ومسلم 6056 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه " .

✉فإذاً معرفة صفة النبي -ﷺ-لها فوائد عظيمة، من جملتها ما يتعلق بالتحقق من صحة الرؤية أو عدم صحتها، وقد زلت في هذا الباب أقدام وضل أقوام، فكم من أناس أتاهم آت في المنام وقال: إنه رسول الله -ﷺ-، لكن لا تكون الصورة التي رآها صورة النبي -ﷺ-التي نقلت في كتب الشمائل وكتب السير، فلا يكون هذا الذي رآه هو رسول الله -ﷺ-. وكم من إنسان وقع في بدع وانحرافات وعبادات وأذكار ما أنزل الله بها من سلطان بزعم أنها مبنية على رؤية النبي -ﷺ-في المنام، مع أنه -ﷺ- لم يمت إلا بعد أن أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، قال تعالى: " ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... " [المائدة: 3].

1- باب ما جاء في خَلق رسول الله -ﷺ-.

عقد المصنف رحمه الله هذه الترجمة لبيان ما يتعلق بصفات النبي -ﷺ-الخَلقية بفتح الخاء من حيث الطول واللون والشعر وغير ذلك؛ وأما صفاته الخُلقية وهي كثيرة فسيأتي ذكرها إن شاء الله في تراجم لاحقة.

وقد أكرم الله نبينا -ﷺ-بأكمل وأجمل الصفات الخلقية، كما أنه أكرمه -ﷺ- بأفضل الصفات الخُلقية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه " الجواب الصحيح 5/ 438 " وهو يتحدث

عن آيات نبوته -ﷺ-: "وكان خَلقه -ﷺ-وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله، فأكرمه بخَلق حسن وصورة جميلة واجتمعت في المحاسن.

قال المصنف رحمه الله:

1- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ ، وَلاَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ ، وَلاَ بِالآدَمِ ، وَلاَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ، وَلاَ بِالسَّبْطِ ، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ". أخرجه البخاري 5900 ومسلم 2347 والمصنف في جامعه 3623. "

-قوله رضي الله عنه: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ " بيان لطوله -ﷺ-وأنه ربعة؛ أي متوسط بين " الطويل البائن " المفرط في الطول وبين " القصير " الذي اجتمع جسمه قصرا، وكان -ﷺ- إلى الطول أقرب منه إلى القصر.

- وقوله: "وَلاَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ، وَلاَ بِالآدَمِ " بيان للونه -ﷺ-، يقال: أبيض أمهق، إذا كان بياضه بياضا خالصا لا يخالطه سمرة ولا حمرة ولا غير ذلك، و " الآدم " هو الأسمر، والمعنى أنه -ﷺ-ليس بالشديد البياض، ولا هو أيضا بالأسمر، وإنما لونه -ﷺ-كما سيأتي في بعض الأحاديث بياض مشرب بحمرة.

- وقوله: "وَلاَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلاَ بِالسَّبْطِ" بيان لصفة شعره -ﷺ-، وأنه وسط ليس " بالجعد القطط " وهو شديد التثني والجعودة المتداخل بعضه في بعض، المتلوي بعضه على بعض لجعودته، " ولا بالسبط " وهو الشعر المسترسل، وإنما هو وسط بين ذلك.

- وقوله: بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً" أي أنه -ﷺ- نبئ عندما أتم من العمر أربعين سنة.

- وقوله : "فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ" بعد البعثة ، وقد جاء في بعض الروايات " ثلاث عشرة سنة " وهي المدة التي أقامها النبي -ﷺ-في مكة بعد البعثة ، فهو بعث على الأربعين ، وهاجر بعد أن أكمل ثلاث عشرة سنة نبيا ، " ويحمل قول من قال : عشر سنين ، على مدة إظهار النبوة ؛ فإنه لما بعث استخفى ثلاث سنين " صفة الصفوة لابن الجوزي 1/ 116 " ، وأوضح من هذا أن يحمل قول من قال عشر سنين على ما كان بعد نزول " المدثر " وأمره بالإنذار ، ومن قال ثلاث عشرة سنة أضاف إليها الثلاث السنوات التي كانت قبل الأمر بالإنذار ، أو أن الراوي ألغى الكسر .

- وقوله: "وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ" أي أقام بعد الهجرة بالمدينة عشر سنين.

- وقوله: "وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً" الثابت أن الله تعالى توفاه على رأس ثلاث وستين سنة فتحمل هذه الرواية على إلغاء الكسر.

- وقوله "وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ" أي أن الشيب في لحيته -ﷺ-وفي رأسه كان قليلا بحيث لا يصل إلى عشرين شعرة.

2- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبْعَةً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ، حَسَنَ الْجِسْمِ، وَكَانَ شَعْرُهُ لَيْسَ بِجَعْدٍ وَلاَ سَبْطٍ أَسْمَرَ اللَّوْنِ، إِذَا مَشَى يَتَكَفَّأُ " أخرجه المصنف في " جامعه " 1754 وقال: حسن صحيح غريب ".

- قوله رضي الله عنه: " كان رسول الله -ﷺ-ربعة "، وسيأتي في بعض الروايات " مربوعا " وهما بمعنى واحد، والمراد به المتوسط في القامة، وقد وضحه بقوله: " ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير " أي: وسط بينهما.

- وقوله: " حَسَنَ الْجِسْمِ " أي أن الله تعالى من عليه بجسم معتدل في الخلق متناسق الأعضاء، فجسمه -ﷺ-حسن وأعضاؤه متناسقة، ومر قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وكان خَلقه -ﷺ- وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله "

- وقوله: " وَكَانَ شَعْرُهُ لَيْسَ بِجَعْدٍ وَلاَ سَبْطٍ " أي أن شعره -ﷺ-وسط، وقد مرت هذه الجملة في الحديث الذي قبله.

- وقوله: " أَسْمَرَ اللَّوْنِ " وقد مر في حديث أنس السابق أنه -ﷺ- " لا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم " والآدم: الأسمر، وهنا وصفه بأنه " أسمر اللون "، ولهذا يرى بعض أهل العلم عدم ثبوت هذه اللفظة، فقد تفرد بها حميد عن أنس، وخالفه غيره من الرواة، فقالوا: " أزهر اللون " بدل " أسمر اللون. ومن أهل العلم من حمل ذلك على أن المراد بالسمرة: الحمرة الخفيفة التي أشرب بها بياضه -ﷺ- فكان بياضا مشربا بشيء من الحمرة.

- وقوله: "إِذَا مَشَى يَتَكَفَّأُ" أي: أنه إذا مشى -ﷺ- كأنما ينزل من منحدر، وسيأتي في وصف علي رضي الله عنه له أنه: " إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب ". فهذه صفة مشيته -ﷺ-.

3- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ الْيُسْرَى، عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. "أخرجه البخاري 3551، ومسلم 2337.

- قوله رضي الله عنه: " رَجُلاً مَرْبُوعًا" هو نظير قول أنس رضي الله عنه في الحديث المتقدم: " كان رسول الله -ﷺ-ربعة" والربعة والمربوع هو متوسط القامة فليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وإنما هو وسط، وهذا كله على وجه التقريب وإلا فهناك نصوص دلت على أنه -ﷺ-إلى الطول أقرب منه إلى القصر.

- وقوله: " بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ "، " بعيد تروى مكبرة ومصغرة؛ " بَعيد " و " بُعيد "، والمنكب هو مجمع العضد والكتف، فقوله: " ما بين المنكبين " أي الأيمن والأيسر، والمراد أنه -ﷺ-كان عريض أعلى الظهر.

- وقوله: " عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ "؛ الشعر بحسب طوله له ثلاث صفات: الجمة، والوفرة، واللمة بكسر اللام، وكلها تأتي في وصف شعر النبي -ﷺ-.

قال أهل اللغة . على خلاف ذلك .:

الوفرة: ما نزل إلى شحمة الأذن، وشحمة الأذن هو الجزء اللين المتدلي من الأذن الذي يوضع فيه القرط بالنسبة للمرأة.

واللمة: ما جاوز شحمة الأذن سواء وصل إلى المنكبين أو لا.

والْجُمَّةِ: ما ضرب المنكبين.

-فقوله: "عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ " المراد بالجمة هنا: الشعر؛ أي: عظيم الشعر إلى شحمة الأذن، وإلا فإن الشعر الذي ينزل إلى شحمة الأذن يقال له: الوفرة.

-وقوله: "عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ " الحلة لا تطلق على اللباس إلا إذا كان مكونا من قطعتين مثل الإزار والرداء، وقيل في سبب تسميته بذلك: أن أحدهما حل على الآخر. وقد جاء عنه -ﷺ-النهي عن لبس المياثر الحمر، فعن البراء ابن عازب رضي الله عنهما قال: " نهانا النبي -ﷺ- وعن المياثر الحُمْر " أخرجه البخاري 5838 ومسلم 2066 ". وقال بعض أهل العلم في التوفيق بين لبسه -ﷺ-للحلة الحمراء وبين النهي عن المياثر الحمر: بأن النهي إنما هو عن الأحمر الخالص، أما إذا لم يكن أحمر خالصا بل خالطه لون آخر مثل البياض أو السواد أو نحو ذلك فهذا لا ينهى عنه، فإن النبي -ﷺ-لبس حلة حمراء.

- وقوله: " مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ " لم يقل رضي الله عنه: ما رأيت إنسانا؛ بل قال: " ما رأيت شيئا " ليعم جميع الأشياء التي رآها بما في ذلك القمر والشمس وغيرهما من الأشياء الجميلة، وقوله : " قط " أي دائما وباستمرار في جميع الأشياء التي رأيتها وشاهدتها ، وهذا فيه كمال خلقته وجمال صورته وبهاء طلعته -ﷺ- وما حباه الله تعالى به من الحسن والجمال ، فهذا البراء رضي الله عنه يقول : " ما رأيت شيئا قط أحسن منه " وسيأتي في كلام علي رضي الله عنه : " لم أر قبله ولا بعده مثله " فآتاه الله تعالى حسنا وجمالا وبهاء فاق ما يرى من الأشياء الجميلة.

4- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، لَهُ شَعْرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَمْ يَكُنْ بِالْقَصِيرِ وَلاَ بِالطَّوِيلِ " أخرجه البخاري 3549. ومسلم 2337، والمصنف في جامعه 1724.

- قوله: "مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ" اللمة من الشعر هي ما جاوز شحمة الأذن سواء وصل إلى المنكبين أو لا، والمراد بها هنا الشعر، والمعنى: ما رأيت من ذي شعر " فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ". فالنبي -ﷺ- أحسن من كل من رأى على هذه الصفة.

- وقوله: " لَهُ شَعْرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ" أي شعره يصل إلى المنكبين، فهو نازل وواصل إلى المنكبين يضربهما.

- وقوله: "بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ " وقد سبق أنه -ﷺ- عريض أعلى الظهر.

- وقوله: "لَمْ يَكُنْ بِالْقَصِيرِ وَلاَ بِالطَّوِيلِ" أي كان -ﷺ- مقصدا بين الطول والقصر، فليس بالطويل البائن ولا بالقصير وإنما كان بين ذلك؛ لكنه إلى الطول أقرب.

5- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، ضَخْمُ الرَّأْسِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ، طَوِيلُ الْمَسْرُبَةِ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أخرجه المصنف في جامعه 3637

6- حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْمَسْعُودِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ.

- قوله: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ -ﷺ- بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ" أي متوسط القامة، وهذه صفة اشترك في ذكرها كل من وصف النبي -ﷺ-.

- وقوله: "شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ" أي غلظيهما، وهذا الغلظ لا يقتضي الخشونة، فقد وصفه أنس رضي الله عنه .كما سيأتي بقوله: " ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله -ﷺ-؛ فكانت يده -ﷺ-ألين من الحرير.

- وقوله: " ضَخْمُ الرَّأْسِ "ضخامة الرأس عظمه وكبره بعض الشيء".

- وقوله: "ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ" الكراديس، والمشاش أطراف العظام، وقيل: "ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ" مجمع العظام أي المفاصل التي تلتقي فيها العظام.

وهذه الأوصاف " شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس " ونحوها مما سيأتي كلها تدل على قوة بنيته -ﷺ- وأن الله تعالى قد أعطاه جسما قويا.

- وقوله: " طَوِيلُ الْمَسْرُبَةِ " هي الشعر الذي يمتد من الصدر إلى السرة، فكان -ﷺ- له شعر ممتد من صدره إلى سرته.

-وقوله: "إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا" مر هذا في حديث أنس.

- وقوله: "كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ " الصبب هو ما انحط ونزل من الأرض. والمعنى أنه -ﷺ- إذا مشى فكأنما ينزل أو يمشي في منحدر من الأرض.

- وقوله: "لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ" وفي هذا كما سبق كمال خلقته وجمال صورته وبهاء طلعته -ﷺ- وما حباه الله تعالى من الحسن والجمال.

7- وَكَانَ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِذَا وَصَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ ، وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ ، لَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ، وَلاَ بِالسَّبْطِ، كَانَ جَعْدًا رَجِلاً ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلاَ بِالْمُكَلْثَمِ ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ ، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ ، أَهْدَبُ الأَشْفَارِ ، جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ ، أَجْرَدُ ذُو مَسْرُبَةٍ ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبَبٍ ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْرًا ، وأصدق النَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً ، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ ، يَقُولُ نَاعِتُهُ : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". فالحديث ضعيف الإسناد؛ لكن ألفاظه تشهد لجلها شواهد، تقدم بعضها وستأتي أخرى "

قَالَ أَبُو عِيسَى: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ الأَصْمَعِيَّ يَقُولُ فِي تَفْسِيرِ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُمَّغِطُ: الذَّاهِبُ طُولاً. وَقَالَ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ فِي كَلاَمِهِ: تَمَغَّطَ فِي نَشَّابَتِهِ أَيْ مَدَّهَا مَدًّا شَدِيدًا. وَالْمُتَرَدِّدُ: الدَّاخِلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ قِصَرًا. وَأَمَّا الْقَطَطُ: فَالشَّدِيدُ الْجُعُودَةِ. وَالرَّجُلُ الَّذِي فِي شَعْرِهِ حُجُونَةٌ: أَيْ تَثَنٍّ قَلِيلٌ. وَأَمَّا الْمُطَهَّمُ فَالْبَادِنُ الْكَثِيرُ اللَّحْمِ. وَالْمُكَلْثَمُ: الْمُدَوَّرُ الْوَجْهِ. وَالْمُشْرَبُ: الَّذِي فِي بَيَاضِهِ حُمْرَةٌ. وَالأَدْعَجُ: الشَّدِيدُ سَوَادِ الْعَيْنِ. وَالأَهْدَبُ: الطَّوِيلُ الأَشْفَارِ. وَالْكَتَدُ: مُجْتَمِعُ الْكَتِفَيْنِ وَهُوَ الْكَاهِلُ. وَالْمَسْرُبَةُ: هُوَ الشَّعْرُ الدَّقِيقُ الَّذِي كَأَنَّهُ قَضِيبٌ مِنَ الصَّدْرِ إِلَى السُّرَّةِ. وَالشَّثْنُ: الْغَلِيظُ الأَصَابِعِ مِنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ. وَالتَّقَلُّعُ: أَنْ يَمْشِيَ بِقُوَّةٍ. وَالصَّبَبُ الْحُدُورُ، نَقُولُ: انْحَدَرْنَا فِي صَبُوبٍ وَصَبَبٍ، وَقَوْلُهُ: جَلِيلُ الْمُشَاشِ يُرِيدُ رُءُوسَ الْمَنَاكِبِ. وَالْعِشْرَةُ: الصُّحْبَةُ، وَالْعَشِيرُ: الصَّاحِبُ. وَالْبَدِيهَةُ: الْمُفَاجَأَةُ، يُقَالُ: بَدَهْتُهُ بِأَمْرٍ أَيْ فَجَأْتُهُ.

- قوله: "لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ" أي شديد الطول، وقد مر في حديث أنس المتقدم: " ليس بالطويل البائن " وهو بمعنى الطويل الممغط، والامتغاط هو بمعنى البائن الذي امتد في الطول.

- وقوله: " ولا بالقصير المتردد " يعني شديد القصر

- وقوله: " كان ربعة" أي كان وسطا " من القوم " أي من الرجال، فكان -ﷺ- وسطا، لا بالطويل البائن ولا بالقصير.

- وقوله: "لَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلاَ بِالسَّبْطِ " وقد مر أن الجعودة هي التثني في الشعر والتعطف فيه ودخول بعضه في بعض، فلم يكن -ﷺ- بالجعد الذي في شعره جعودة شديدة، ولا بالسبط الذي شعره مسترسل، وإنما كان وسطا بين ذلك.

- وقوله: "كَانَ جَعْدًا رَجِلاً " هذا توضيح للبينية التي بين الجعد القطط وبين السبط، فكان شعره -ﷺ- وسطا بين ذلك.

- وقوله: " وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ" والمطهم السمين الممتلئ، فلم يكن -ﷺ-جسيما سمينا ممتلئا مترهلا.

- وقوله: "وَلاَ بِالْمُكَلْثَمِ " المكلثم المراد به مستدير الوجه الاستدارة التامة، فلم يكن وجهه -ﷺ- مستديرا تمام الاستدارة، وإنما كان بين الاستدارة والإسالة، فلذلك قال: " وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ " أي فيه تدوير مع شيء من الإسالة.

- وقوله: " أَبْيَضُ مُشَرَّبٌ " أي ليس بياضه البياض الأمهق الخالص، أو البياض الصرف، وإنما هو بياض مشرب بحمرة، وهذا معنى وصفه كما سيأتي أنه " أزهر اللون " أي أنه أبيض بياضا مشربا بحمرة.

- وقوله: "أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ" أي أسود، وقوله: "أَهْدَبُ الأَشْفَارِ" الأشفار: الشعر الذي ينبت في جفون العين، فكان -ﷺ- طويل الأشفار.

- وقوله: "جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ" المشاش هي رؤوس العظام؛ وهي بمعنى ما تقدم في قوله: " ضخم الكراديس "، و" الْكَتَدِ ": مجمع الكتفين ويقال له: الكاهل، فكان -ﷺ- " جَلِيلُ الْكَتَدِ " أي عظيم الكاهل، وهو بمعنى ما سبق من أنه -ﷺ- "بعيد ما بين المنكبين ".

- وقوله: "أَجْرَدُ " أي غير أشعر، والأشعر هو كثير شعر البدن، وذكر في وصفه أن في مواضع من جسمه شعرا، ومن ذلك قوله: "ذُو مَسْرُبَةٍ " والمسربة هي الشعر الذي ينزل من الصدر إلى السرة، وقوله: " شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ " سبق بيان معناه.

- وقوله: "إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ " أي يمشي مشيا قويا، ليس كمشي الذي ينهض رجله من الأرض بتثاقل، وقوله: "كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبَبٍ" والصبب: ما انحدر ونزل من الأرض.

- وقوله:" وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا " أي إذا التفت إلى الوراء استدار بجسمه كاملا، وهذا من وقاره -ﷺ- فلا يدير الرأس فقط وجسمه إلى الأمام، وإنما يستدير بكامل جسمه، أما النظر اليسير إلى اليمين أو إلى اليسار فغير داخل هنا.

- وقوله: " بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ " في ظهره -ﷺ- بين كتفيه خاتم النبوة وهو قطعة من اللحم بارزة، وستأتي أحاديث عديدة في ترجمة خاصة به.

- وقوله: " وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ " أي آخرهم فلا نبي بعده كما قال الله تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" [الأحزاب:40].

- وقوله:" أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْرًا" وهذا فيه رحابة صدره -ﷺ- وسعته فإن جوده وسخاءه وكرمه وبذله عن سخاء صدر ورحابة نفس؛ لا عن تصنع أو تكلف أو نحو ذلك.

- وقوله: "وأصدق النَّاسِ لَهْجَةً" أي أصدقهم حديثا -ﷺ-، وهو منذ نشأته عرف في قومه بالصادق الأمين.

- وقوله: "وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً " المراد بالعريكة الطبيعة والسجية، فكان لين السجايا والطباع، فلم يكن غليظا ولا فظا، وإنما كان لينا سمحا رفيقا متواضعا سهلا -ﷺ-.

- وقوله: " وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً " أي كريم المعاشرة والمصاحبة والمرافقة، فهو يعامل من يعاشر ومن يخالط أحسن معاملة -ﷺ-.

- وقوله: " مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ " يعني من رآه فجأة أو لأول مرة يهابه لأنه -ﷺ-مهيب جعل الله تعالى له في القلوب هيبة.

- وقوله: "وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ " أي من صاحبه وجالسه وما شابه ورافقه -ﷺ-أحبه؛ لأنه لا يرى فيه إلا ما يدعو إلى حبه من كريم الأخلاق وطيب المعاملة وحسن المعاشرة، وقد قال الله تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" [آل عمران:159].

- وقوله: " يَقُولُ نَاعِتُهُ " الناعت هو الواصف أي يقول واصفه: " لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ "-ﷺ- هذه الجملة واردة في قول غير واحد ممن وصفه -ﷺ-.

كيف أحب الصحابة النبي ﷺ؟

لقد أحبوه حباً عظيماً، حتى كان أحدهم يجعل نحره أمام النبي ﷺ لتصيبه السهام، ويترس عليه بظهره، ويقولون له: فداء لك أبي وأمي، بعد أن يفدونه بأنفسهم يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.

قال عمرو بن العاص -رضي الله عنه-: " ما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، ولا أجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلأَ عَيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عَيْنَيَّ منه" صحيح مسلم

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ".

"وقد سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك - زيد بن الدثنة-رضي الله عنه- حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه - وكان قد أسر يوم الرجيع أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟، قال: "والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي".

قال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً" ﷺ.

جاء رجل من الأنصار إلى الرسول ﷺ فَقالَ: واللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي ووَلَدِي وأهْلِي ومالِي، ولَوْلا أنِّي آتِيكَ فَأراكَ لَظَنَنْتُ أنِّي سَأمُوتُ. وبَكى الأنْصارِيُّ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ما أبْكاكَ»؟ فَقالَ: ذَكَرْتُ أنَّكَ سَتَمُوتُ ونَمُوتُ فَتُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، ونَحْنُ إذا دَخَلْنا الجَنَّةَ كُنّا دُونَكَ؟ حتى في الجنة لوعة لعدم رؤية الحبيب ﷺ ظنها ذلك الصحابي، فلم يخبره النبي ﷺ بشيء، فأنزل الله على رسوله ﷺ: (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69-70]

لما كانت المرأة تنتظر على باب المدينة عودة الجيش من أحد فتخبر بأن زوجها وأخاها وأباها كلهم قد قتلوا، تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فيقال لها: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، فتقول: أرونيه حتى أنظر إليه -لأتأكد أنه سالم- فلما يشار إليه ﷺ تقول المرأة: "كل مصيبة بعدك جلل" ولذلك فإن أعظم مصائب الأمة هي وفاة النبي ﷺ؛ ولذلك أرشدنا إذا أصابت الواحد منا مصيبة أن يذكر مصيبته بالنبي عليه الصلاة والسلام فيعزي نفسه بذلك.

يا مَن لشَربةِ حوضه نشتاق

وبمدحه تتعطّرُ ... الأوراق

صلّى عليك الله حتى تنتهي

أنوارُ نجمٍ في السَّمَاء برَّاقُ

الجميل خلقا وخلقا في ٢٣ سنة هذه المدة التي قضاها في بعثته ونبوته قد أدى ما أوجب الله عليه من تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وإخراج هذه الأمة من الظلمات إلى النور، وجاهد في الله حق جهاده حتى أته اليقين، واجب علينا الوفاء بحقه -ﷺ-، محبين صادقين مؤمنين أن المحبة الصادقة طاعة له وتمسك بسنته وهديه والاقتداء به، وملئ القلوب بمحبته ، وكثرة الصلاة عليه، بأبي وأمي ونفسي وولدي هو -ﷺ-، وبعد ما سمعنا وصفه اشتقنا له ولسان أحدنا يا ليتني كنت فردا من صحابته، أو خادم عنده من أصغر خدمه، اللهم ارزقنا رؤيته في المنام، وشفاعته يوم تجمع الآنام ، وصحبته في أعلى الجنان.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

المراجع:

1. شرح شمائل النبي -ﷺ- الشيخ عبد الرزاق بن محسن البدر.
2. الدرر السنية.
3. محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع: الشبكة الإسلامية.